

# اللغة والدلالة الرمزية والإيحائية للأسطورة

أ.د. علي زوين\*

## ● مقدمة:

الأسطورة ودراساتها من الموضوعات المشتركة بين اللغة والتاريخ والأنثروبولوجيا الحضارية والاجتماعية والعقائد والأديان والرؤى النفسية وعالم ما وراء الطبيعة ونظرية الخلق والفطرة .

وموضوع هذا شأنه من التداخل والتشعب لا ينبغي أن ينظر فيه إلا من خلال تداخل التفسيرات وتكاملها وصولاً الى عدة تفسيرات يمكن أن تكون ذات أبعاد متفاوتة في فهم الأسطورة، إذ الوصول الى تفسير واحد أو فهم محدد متعذر، لأن علم الأساطير من الموضوعات التي تتناول الحدس والتخمين متجاوزة البنى السطحية والشعور والبنى العميقة الى (اللاشعور) .

وظاهر الأساطير في تأريخ الإنسان منذ نشأته يستدعي أيضاً البحث في الموضوع من جانبين، أحدهما: المظهر، وهو ما تمثله الأسطورة من موضوع وأشياء معبرة عن الموضوع، والآخر: الجوهر، وهو المدلول الرمزي للأسطورة، وحقيقة الربط بينهما وبين مجموعة الأساطير للأمم المختلفة وصولاً الى أوجه التشابه والاختلاف لبيان العناصر المشتركة، ومن ثم البحث عن العناصر الأولية لفهم الأسطورة من خلال فهم الإنسان لها عبر مراحل وجوده . ولذلك كله يعد علم الأساطير من العلوم الوعرة الصعبة المرام، المتعددة الأوجه، المتباينة في الفهم والتحليل والاستنتاج .

\* جامعة الكوت \_ العراق

العدد الثاني \_ 2019



وما أبتغيه في هذا البحث هو تناول الأسطورة من خلال عنصر واحد من عناصرها العديدة، وأعني به العنصر اللغوي، والصلة بين اللغة والدلالة الرمزية للغة، وما توحى هذه الرمزية من المعاني الهامشية التي تضاف الى المعاني الحقيقية والمجازية .

### • الأسطورة : تعريفها ومفهومها وموضوعها :

يختلف تعريف الأسطورة باختلاف الباحثين في هذا الميدان من ميادين المعرفة الإنسانية والمدارس التي ينتمون إليها؛ فالأسطورة (Myth) تطلق بمعناها العام على « قصة تقليدية قديمة عن الآلهة أو الأبطال، ولاسيما تلك التي تقدم تفسيراً لحقائق أو ظواهر معينة . قصة ذات معنى غامض أو خفي . ما يعتقد - عموماً - أنه غير حقيقي أو بلا أساس»<sup>(١)</sup>، وهي مرادفة عند بعض الباحثين لكلمتي (خرافة) و (وهم)، على أن ما بين الأسطورة والخرافة فرقٌ جوهريٌّ من حيث الفكرة والتفسير والهدف .

ويطلق على العلم الذي يتناول الأسطورة بالدرس والتحقيق والتحليل مصطلح الميثولوجيا (Mythology)، وهو يعنى بمسألتين أساسيتين، إحداهما: «دراسة الأسطورة بالمعنى الحرفي للكلمة»، والأخرى: «مجموعة الأساطير و(الليجنندات)<sup>(٢)</sup> كلها لأي ثقافة خاصة كميثولوجيا اليونان القديمة»<sup>(٣)</sup>.

وبموجب هذا الفهم فإن الأساطير قد تشتمل على بعض العناصر الحقيقية الواقعية وإن كانت قليلة

ويدل مصطلح علم الأساطير على معيارين للتمييز والفصل، معيار يتضمن دراسة الأسطورة نفسها من حيث المتن والسرد والرمز والمعنى والفحوى وما تهدف إليه، ومعيار يتضمن دراسة مجموعة الأساطير المنسوبة الى إقليم ما أو جماعة معينة أو حضارة من الحضارات .

وفيما يأتي بيان لأهم الملاحظات التي بموجبها يمكن فهم المقصود بالأسطورة<sup>(٤)</sup>:  
١- تتخذ الأسطورة طابعاً دينياً مقدساً أو اجتماعياً أكثر من الطابع الفردي السردى في موضوع معين، وتعنى - في الأعم الأغلب - بالظواهر الطبيعية والثقافية والاجتماعية، وقضايا متعلقة بما وراء الطبيعة .

٢- في التراث الشعبي الشفهي لأمة من الأمم أو لجماعة من الناس قصص وحكايات أسطورية، ولا بد من التمييز بينها وبين الأسطورة لأنها من الموروث الشعبي الشفهي أيضاً، غير أن التمييز بينهما « ليس تمييزاً صارماً» .

٣- تشير الأسطورة عند العامة من الناس الى (معتقد زائف)، ولذلك ينبغي التفريق بين المعنى الأنثروبولوجي للأسطورة ومعناها في الاستعمال الشائع بين العامة .

٤- الأساطير قصص يتناقلها الناس في مجتمع معين من جيل الى آخر منذ أقدم العصور .

٥- يعد عنصر الزمن في الأسطورة من العناصر الرئيسة لأنه يجعل من الخطاب الأسطوري (كلمة بناءة)، ويجعل الأسطورة نفسها من حيث الصياغة غرضاً وهدفاً .

٦- تبدأ الأسطورة عادة بقصة مصدرها فرد،

(العلاقات التاريخية والجغرافية بين مختلف القبائل والجماعات البشرية)<sup>(٧)</sup>.

وعقد بعض الباحثين صلة بين الأسطورة والشعائر الدينية من حيث الأداء الشعائري للأسطورة والعناصر الرمزية المشتركة بينها وبين الشعائر . وقد أدى هذا التوجه الى احتدام الجدل والحوار في مسألة أسبقية أي من الأسطورة أو الشعائر على الأخرى، وأنها الأصل والأساس، وما الأسطورة إلا تفسير لها. ولم ينته هذا الجدل الى نتيجة حاسمة، وترك البحث في هذه المسألة، وانصرف الباحثون الى بيان أهمية الصلة بين الاثنتين وتوصلوا الى نتيجة مفادها أن الأسطورة والشعائر ترتبطان بعلاقات متبادلة، وأن كل واحدة منهما تصلح لتفسير الأخرى؛ فانصرف اهتمام الأنثروبولوجيين الى توضيح الصلة بين الأسطورة والشعائر والنظم الاجتماعية بدلاً من الخوض في مسألة الأسبقية<sup>(٨)</sup>.

ومن المناهج المهمة في دراسة الأساطير ما عرف بـ(المنهج البنيوي)، وهو منهج دعا إليه وتبناه (كلود ليفي شتراوس) الذي مثل هذا الاتجاه في المدرسة الفرنسية الأنثروبولوجية متأثراً بمدرسة فرديناند دي سوسير في علم اللغة بعد أن نشر تلامذة دي سوسير كتاب أستاذهم (في علم اللغة العام)، وظهرت بذلك المدرسة الوصفية في اللسانيات وتطورت الى ما يعرف بـ(المدرسة البنيوية) .

ودخلت البنيوية في المباحث الأنثروبولوجية متأخرة بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ويرتبط ظهورها بنشر كتاب شتراوس الموسوم بـ(البنى الأولية للقرابة) في سنة

ثم تشيع بين الناس . ولكي تصدق عليها صفة الأسطورة لابد لها من توافر شرطين أساسيين، أحدهما: أن تدخل ضمن أساطير الشعب المعني من حيث التطابق الشكلي والدلالي، أي من حيث الأسلوب والمضمون. والآخر: اندثار مصدرها الفردي « لكي تصبح قصة عامة إنموزجية».

واختلفت التوجهات الأنثروبولوجية والتاريخية والحضارية في فهم الأسطورة وتفسيرها وكيفية البحث فيها . ومن هذا القبيل التفسير الثقافي التاريخي في دراسة الأسطورة من خلال العلاقات التاريخية بين الأساطير باستعمال المعلومات الواردة فيها شواهد « على العلاقات التاريخية والجغرافية بين الثقافات والمناطق الثقافية»<sup>(٩)</sup>.

والأسطورة في مفهوم مالينوفسكي (١٩٤٨ م) نوع من أنواع (الميثاق الاجتماعي)، وينبغي أن تفسر على وفق هذا المعنى لتبرير العادات والتقاليد والسلوك الاجتماعي لجماعة معينة من الناس، وتفهم في ضوء سياقها الاجتماعي المعاصر<sup>(١٠)</sup>.

وهذا توجه اجتماعي في تفسير الأسطورة لما عرف عن مالينوفسكي ومنهجه الاجتماعي في الأنثروبولوجيا. وهو مدخل الى دراسة الأساطير تبنته الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية ما بين سنة ١٩٣٠ م وسنة ١٩٦٠ م.

وكان المنهج في الولايات المتحدة مختلفاً؛ فقد درس (بواس) وأتباعه الأسطورة على أنها (مستودع معلومات عن الثقافة والسمات الثقافية)، واتخذوا منها دليلاً لمعرفة





١٩٤٩م، بيد أن هذا الاتجاه لم ينضج وتنضج معالمه إلا في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين وبعد أن نشر المؤلف نفسه كتابه الآخر المعنون بـ(الأنثروبولوجيا البنيوية) في سنة ١٩٥٨م<sup>(٩)</sup>.

وتأثر شتراوس في منهجه أيضاً بأراء جاكبسون (Jakobson)، وخلاصة ما استفاده منه الربط بين البنى اللغوية الثابتة والمبادئ الأساسية للعقل البشري؛ فقد ذهب جاكبسون الى أن البنى اللغوية تظل ثابتة مهما اختلفت اللغات، ولما كانت اللغة تعبيراً عن النشاط الرمزي للإنسان فلا بد لهذه البنى الثابتة من التعبير عن (مبادئ أساسية للعقل البشري) تظل ثابتة كثبوت البنى اللغوية . وبهذا المزج بين الفكرتين اتخذ شتراوس منهجه البنيوي وفسر به الظواهر الاجتماعية عند القبائل البدائية<sup>(١٠)</sup>.

وطبق شتراوس البنيوية أيضاً على منهجه في دراسة الأساطير، ولذلك كان مفهوم الأسطورة عنده يتصل بالتفسير الفكري والبنيوي للنظم الثقافية والاجتماعية مع الأخذ بنظر الاعتبار الأهمية الرمزية المعبرة عنها . واتضح أفكاره في مؤلفه الكبير الموسوم بـ(الأساطير = Mythologiques)، وقد صدر ما بين ١٩٦٤م وسنة ١٩٧٢م .

وعمد ما ذهب إليه شتراوس في فهمه للأسطورة أنه عدها (نوعاً من أنواع التفكير) ومثالاً (لصيغة المبادئ البنيوية العامة التي تكمن وراء النظم الاجتماعية والثقافية). وفي تحليله للأسطورة نظر إليها على أنها (أداة فكرية تستعمل لتأمل التناقضات الإنسانية

العامة أو الخاصة بثقافات معينة) معتمداً في تحليله على المستوى الرمزي في حل هذه التناقضات .

وأهم ما في رؤية شتراوس ومنهجه في فهم الأسطورة وتحليلها وتفسيرها العناصر الثلاثة الآتية<sup>(١١)</sup>:

١- فهم الأسطورة على أنها عملية خلق وتغيير دائمين للمعرفة والفكر المتمثلين بها. ويعني ذلك أنه تخلى عن فكرة البحث عن الصيغ الأصلية أو الصحيحة للأسطورة . والمهم عنده ليس النص الأصلي من غير تعديل وتحريف بل عملية ما يطرأ على الأسطورة من تغيير يتناسب مع تطور المعرفة الأسطورية. وبتعبير مختصر آخر: الأسطورة ليست نصاً ثابتاً يقرأ بل هي معرفة مستمرة قابلة للتغيير.

٢- إن وظيفة الأسطورة تكمن في أنها إجراء الوحيد القابل للتطبيق من بين كل الترتيبات والإجراءات الممكنة للحياة لأن الجماعة هي التي تتبناه . وتعد الأسطورة بهذا المعنى « خطاباً محكماً ودقيقاً عن الارتباطات الممكنة للعلاقات الاجتماعية والذي يقود الى نتيجة مؤداها أنه لا شيء قابل للتطبيق سوى ذلك الذي تتبناه الجماعة» .

٣- ونتيجة للصلة بين الأسطورة والتنظيم الاجتماعي وتفسير كل أسطورة من خلال علاقتها بسياقها الاجتماعي تيسر البحث في العلاقات المترابطة بين عدد كبير من الأساطير التي تنتمي الى حضارات وثقافات مختلفة ومتنوعة، وبذلك وضح شتراوس « أن علم الأساطير يمكن أن يتجاوز الحدود

السوسيولوجية ويشكل شبكة دائبة الاتساع من التحولات والتغيرات والارتباطات الرمزية، ومن المناهج التي اتبعت في تفسير الأسطورة المنهج النفسي التحليلي تبعاً لفرويد ومريديه من المدرسة التحليلية في علم النفس، وقد تبنى هذا النهج لفيث من المعنيين بالانثروبولوجيا. وخلاصة رأي فرويد هي (استعمال البيانات الأسطورية) في تفسير نظريته عن تأريخ الإنسان وسماته الشخصية الأساسية، والتمس المتأثرون بذلك سبباً في الأسطورة للتعبير عن الصراع النفسي عند الإنسان كالحسد، وعلاقة الرجل بالمرأة، والغضب، والانتقام، والشجاعة، والتهور... الخ. وأفادوا أيضاً من بعض المجالات الرمزية الأخرى كالفنون والشعائر الدينية.

وأثرت آراء فرويد ومدرسته تأثيراً كبيراً في دراسة الأسطورة، وتقبلها حتى الذين رفضوا أفكاره في (البناء والنمو النفسي والاجتماعي)، وأفادوا من تحليله الرمزي للأسطورة. وتختلف الغايات من الأساطير باختلاف طبيعة الأشياء وحاجة الإنسان إليها، كتفسير نشأة الكون وأسباب الرعد والزلازل والعواصف، أو الوصول إلى أصل الأشياء في الطبيعة كالنبات والحيوان والجبال والبحار والأنهار.. الخ؛ فالإنسان في سعيه حثيث منذ خلقه إلى تفسير ما يجده محيطاً به والسيطرة على بيئته ولو كان تفسيراً أولياً بدائياً، ما دفعه إلى التدين بدين ما، وإقامة العبادات والطقوس والشعائر الدينية المختلفة بمساعدة (الشامانات) (١٢) والكهنة والمطربين. وثمة أمور أخرى كانت تحتاج إلى

تفسير كالعادات والتقاليد الاجتماعية وأسرار الحياة والموت؛ فاستعان الإنسان بالأسطورة لتفسر له ذلك (فاختلط الخيال والخرافة بالملاحظة). وكانت الغاية من وضع بعض الأساطير التعليم، وقد يبتغي بعضها الآخر (المتعة والتفنن في رواية القصص) (١٣).

ولا تقتصر الغايات من الأساطير على ما ذكر آنفاً، إذ إن المسألة أعمق من ذلك بكثير؛ فحال الأساطير كحال الإنسان، فيه ما ظاهر للعيان، وفيه ما هو مستخف في أعماق نفسه وشعوره، وقد يتعدى إلى ما هو أكثر عمقاً وغوراً، وأغني بذلك (اللاشعور). وينبغي أن ينظر إلى ذلك كله على مستويين، أحدهما: المستوى الفردي، والآخر: المستوى الجمعي، وإذا ما توصل الباحث إلى القضايا المشتركة ذات الصفة الجمعية، أي المعبرة عن العقل الجمعي أو ما وراء العقل الجمعي فقد أصاب الهدف وتبينت له حقائق التحليل العلمي للأسطورة.

وللأساطير سمات مشتركة تعد المكونات الأساسية لأساطير الشعوب على اختلاف ثقافات، وفيما يأتي بعض من هذه السمات (١٤):

١- المسائل المتعلقة بخلق الكون والأرض والنظام الشمسي، وأصل الآلهة وسلالتها، والأسباب والبدائيات للأشياء على نحو عام.  
٢- سمة (التجسيم) أو (التشخيص)، إذ اتخذت الأساطير من التجسيم شكلها، بمعنى « جعل المظاهر الطبيعية أو الأشياء الجامدة أو الصفات والمجردات تتخذ شكلاً بشرياً، فتضفي عليها السمات البشرية».





٣- العامل الإنساني في تأليه الشخصيات أو المجسمات، فيعزى « الشكل الإنساني والصفات والمفاهيم إلى إله أو حيوان أو نبات أو شيء آخر . وعن طريق التأليه ارتفع الناس والتشخيصات التي شخصوها إلى مرتبة إله » .

٤- عنصر التقديس في الأسطورة، أي الصلة بين الأسطورة وما هو (مقدس) عند الإنسان. والتقديس غاية ما يصل إليه الوجود الواقعي كما يرى (الياد)، وقد وضح ذلك في قوله مقارناً بين (كيف) و (لماذا) في تفسير الوجود: « إن وصف كيفية وجود الأشياء هو تفسير وإجابة غير مباشرة عن سؤال آخر: لماذا وجدت تلك الأشياء؟، ف(لماذا) هو دوماً متداخلاً في (كيف)، ويرجع ذلك إلى سبب بسيط وهو أن رواية: كيف ولد شيء من الأشياء؟ تكشف النقاب عن انبجاس (المقدس في العالم)، وهو السبب الأقصى لكل وجود واقعي»<sup>(١٥)</sup>.

٥- عنصر الزمان في الأسطورة، أي عامل الاستمرارية والديمومة والتجديد، ويتضح مفهوم الزمان في أساطير الشعوب في ربط الدين بالزمان من حيث تجدد العالم فيكتسب بذلك القداسة، بمعنى أن عملية التجديد في كل دورة سنوية تضيء على الزمن طابع القداسة؛ فينظر الإنسان إلى الزمن بعينين أو بإدراكين، عين ترى فيه عدداً للأيام والشهور والسنين، وهي عين الظاهر، وأخرى ترى فيه صفة التجديد، وكأن العالم في خلق جديد دائماً، وهي عين الباطن، وهذه الصفة في مخيلة الإنسان من صفات الآلهة . قال الياد: « إن الإنسان الديني في الثقافات الغابرة يرى

أن العالم يتجدد في كل سنة، وبعبارة أخرى: إن العالم يجد في كل سنة جديدة (القداسة) الأصلية التي تحل بها عندما خرج من بين يدي الخالق»<sup>(١٦)</sup>.

ومهما قيل في تحليل الأسطورة وتفسيرها وأغراضها فإن (عنصر الخلق) يبقى هو العنصر الأساسي في أساطير البشرية منذ أقدم العصور، وهو النواة الصلبة التي لا يمكن أن تتغير وتتبدل بتغير الزمان والمكان والأديان والثقافات والتوجهات الشعورية واللا شعورية الواعية وغير الواعية .

وتختلف النظرة إلى عنصر الخلق هذا بين (الفطرة) و (الاكتساب)، بيد أننا نجد أفكاراً في هذا المجال ظهرت عند المفكر الألماني (رودلف أوتو) الذي حاول موفقاً أن يجد للدين (تجذراً في الذهنية الإنسانية)، « ومن اللزوم خوض عملية تحليلية ذات طابع نفسي حتى يتم بمقتضاها معانقة الإلهي » . وهذا ميل واضح إلى (الفطرة) .

وخلاصة ما توصل إليه أوتو - وقد تأثر بمنهج (المعرفة القبلية) للفيلسوفين اللاهوتيين (فريس) و (أبلت)، وهما من أتباع الكانتية الحديثة - أن المعرفة الموضوعية مستقلة عن الخبرة الخارجية للإنسان، وهي وليدة الخبرة الذاتية وليست نتاجاً للخبرة الخارجية التي يعيشها الإنسان . واستدل على ذلك بالتحليل النفسي الذي أظهر أن لدى كل إنسان « أفكاراً ومفاهيم يصعب تفسير أصلها تجريبياً، ومن الصعب البرهنة عليها إلا بتأكيد أنها طبيعية أو أصلية لدى الإنسان، أو أنها من جانبها عناصر إيمان، كتمثلات الله

والروح والحرية الحاضرة في الوعي الإنساني في مختلف الخبرات الدينية»<sup>(١٧)</sup>. وتوصل بعد ذلك الى استنتاج مفاده (أن هذه الأفكار نتاج إدراك ظرفي يصعب البرهنة عليها) .

وذهب (مسلان) الى قريب من هذا المعنى، وخالف القائلين بالأصل الطبيعي للدين، أي الأصل الذي يستقيه الإنسان من الطبيعة بعيداً عن جوهره النفسي، فقال: « الإنسان ليس بإمكانه صنع الآلهة على صورته، إذ في جوهر الشعور الديني يكمن وعي نفسي بما هو مفارق للإنسان ومتعالٍ عن ظرفه الخاص»<sup>(١٨)</sup>.

ويمكن أن نستفيد من نظرية المعرفة القبلية، والمعرفة الذاتية المستقلة عن الخبرة الخارجية، يضاف إليها ما يظهر للإنسان من أفكار ومفاهيم يصعب تفسيرها تجريبياً ولكنها أفكار ومفاهيم طبيعية بحسب رؤية (أوتو)، وصولاً الى مبدأ ما هو مفارق للإنسان ومتعالٍ عن ظرفه الخاص، ونستدل من ذلك كله على ما اصطلحت عليه بـ(الإيمان الفطري)، فلدى كل إنسان جانب (خُلقي فطري) يكمن في بنيته النفسية العميقة تتشكل فيه العقيدة والإيمان بالخالق، وهذا الجانب يتسع لما هو أبعد من (الوعي) و (الشعور) الى (اللاوعي) و (اللاشعور) . وبعبارة أخرى: كل إنسان مؤمن بالفطرة، ولذلك نرى البشر عبر مراحل وجودهم في الأرض منذ القرون الغابرة يؤمنون بقوة خارقة تتصف بقدرات غير محدودة تهيمن على الكون، واختلف الناس في تسمية هذه القوة الخارقة كما اختلفوا في (وحدانيتهما)

أو (تعددتها) أو في كنهها وصفاتها . أليس ذلك كله مصداقاً للآية القرآنية الكريمة: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ- الأعراف: ١٧٢).

ويعود هذه النظرة الشاملة ينبغي أن نفسر الأساطير ونحللها ونستنتج منها ما نشاء؛ فمركز الدائرة وقطب الرحي في كل ما قيل عن الأسطورة هو هذه (النواة الصلبة).

### ● الأسطورة والرمز:

يعد الرمز من أهم الدلالات الإيحائية للأسطورة، فهو يدل على الظاهر المحسوس، ثم ينصرف الى ما هو أعمق إذ يدل على باطن مغاير لما هو محسوس، بمعنى أن للرمز دالتين: ظاهرية تطفو على السطح، وباطنية تستقر في العمق . وبهذا المنظور عرّف القديس أوغسطين الرمز بأنه « معطى، فضلاً عن الظاهر الذي يجلبه أمام حواسنا . يجلب للفكر أمراً مغايراً، كأثر الحافر الذي يُعلمنا بمرور الحيوان»<sup>(١٩)</sup>.

ومجازة الرمز للظاهر المادي هي المقدرة التعبيرية للرمزية . قال مسلان مشيراً الى هذا المعنى: « أقول بوعي: إن الرمزية هي المقدرة التي يمتلكها الإنسان لتجاوز الظاهر المادي للأشياء»<sup>(٢٠)</sup>.

وتتضح القوة التعبيرية للرمز في تحول (الظاهرة الى فكرة) . ونجد هذا المفهوم عند الأديب والفيلسوف والشاعر الألماني المعروف (غويته)؛ فالرمزية لديه تحول الظاهرة الى فكرة، ومن ثم الى صورة تبقى فيها الفكرة





ناشطة متجددة داخل صورتها . قال: « الرمزية تحول الظاهرة الى فكرة، والتي تتحول بدورها الى صورة، على نحو تبقى معه الفكرة ناشطة دائماً داخل الصورة ومنيعه وحية الى ما لا نهاية، وحتى إذا ما فسرت الفكرة بكل اللغات فهي مع ذلك تبقى متعذرة البيان»<sup>(٢١)</sup>.

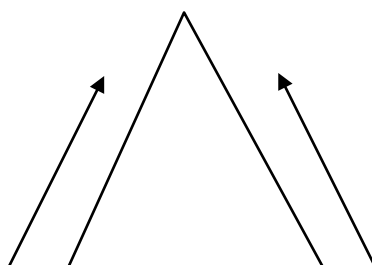
وللرمز قوة جاذبة تستولي على الإنسان وتدفعه الى الإيمان بأنه الأمر المدبر لشأن العالم كما عبّر عن ذلك (كروزر) قائلاً: « يجعل الرمز بشكل ما حتى الإلهي مرثياً... فهو يجلب بقوة فائقة الإنسان الذي يعاينه ويستولي على روحه كأنه الأمر المدبر لشأن العالم»<sup>(٢٢)</sup>.

وتكمن القيمة الفاعلة للرمز في فهمه وإدراكه، فهو ليس بذئ جددى من غير أن يدركه مجتمع بشري ما . ويستمد الرمز قوته الجاذبة من المعنى الإيحائي له . وفي المخطط الآتي بيان للعلاقة بين (الرمز) و (الرموز إليه) و (المعنى الإيحائي) للرمز:

«ونستنتج من هذا المخطط أن علاقة الرمز بالرموز إليه غير مباشرة، إذ تكون العلاقة بينهما عن طريق المعنى الإيحائي للرمز . ومن خلال هذه الصلة بين الرمز والرموز إليه يمكن أن نربط الرمز باللغة؛ فاللغة كما هو معروف في المنهج الوصفي التركيبي ما هي إلا نظام من العلامات والرموز، وتعد من أكثر الأنظمة كفاية .

وذهب بعض الباحثين في النظام الدلالي للرموز - ومنهم رولان بارت وشتراوس - الى أن هذا النظام من قبيل الدلالة الثانوية، والمقصود بذلك أن الرموز « لغة من درجة ثانية ونظام من أنظمة التعبير عماده اللغة الطبيعية، غير أنه يمثل دليلاً من الدرجة الثانية»<sup>(٢٣)</sup>، أي إن الدلالة في لغة الأسطورة وما ترمز إليه هي دلالة هامشية إيحائية لم تصل الى مرتبة الدلالة المركزية المتصفة بالثبات النسبي في لغة الجماعة أو في معجمها المخزون في الذهن. وقد عرّف أحد الباحثين<sup>(٢٤)</sup> الأسطورة من حيث صلتها باللغة والرمز

### المعنى الإيحائي



• الرموز اليه (= في عالم الطبيعة والمادة، أو في عالم العقل والذهن، أي المعنى المادي والمعنى المجرد)

• الرمز (= كلمة أو صورة أو علامة)

قائلاً: « الأسطورة نمط خاص من أنماط التعبير، أو لغة خاصة تستند الى اللغة الطبيعية، ونظام رمزي يعبر عن مشاغل البشر الفردية منها والجماعية لاتصالها بجانب الوعي منهم على اختلاف أشكاله من دين وتاريخ وفلسفة، أو بما لا يقع منهم تحت دائرة الوعي والإدراك، ولاتصالها أيضاً بالفعل والنشاط ومختلف أشكال التأثير في الكون والمجتمع من طقوس وشعائر وسحر وشعر وأدب وفن وهلمَّ جراً».

وللبنية الرمزية في لغة الأسطورة صلة سببية بالرمزية الدينية المستفادة من التحليل النفسي الباطني والتصور الواعي و غير الواعي للفرد والجماعة، وقد ذهب بعض الباحثين في هذا العنوان الى القول بـ(نشاط رمزي غائر في الطبيعة البشرية)، وكأنه يشير الى صفة فطرية للرمز في طبيعة الإنسان. قال مسلان: « كشفت المعرفة الواسعة والفهم الجيد للمجتمعات القديمة الى جانب الاهتمام الواسع المتعلق ببنية اللغة الأسطورية الأهمية المنوطة بكل تنظيم إنساني، أي بكل منظومة دينية للغة الرمزية . وفي الوقت نفسه أبان علم نفس البواطن عن تطور مهم، واع ولا واع، فردي وجماعي، لصور ورموز هي بمثابة أحلام اليقظة للإنسان التاريخي، وكشف عن وجود نشاط رمزي غائر في الطبيعة البشرية؛ فالرمز يظهر في الاكتشافات التي تحصل في عصرنا كأمر مرتبط بوجود الإنسان، فهو يتداخل ضمن جميع علاقات الفرد مع الغير، ومع الألوهية أيضاً»<sup>(٢٥)</sup>.

وربط الفيلسوف الفرنسي (دوران) في

تعريفه الأسطورة بين عنصري (الرمز) و (الزمان) فقال: «الأسطورة نظم لوقائع رمزية في مجرى الزمان».

وكان بول ريكور (Paul Ricoeur) أكثر عناية بالصفة القدسية والدينية للأسطورة من خلال وظيفتها الرمزية عند الإنسان، وارتباط أفعاله وأفكاره بوساطتها ليرى (الإنسان موقعه من العالم)، إذ قال: « الأسطورة حكاية تقليدية تروي وقائع حدثت في بداية الزمان، وتهدف الى تأسيس أعمال البشر الطقوسية حاضراً وبصفة عامة الى تأسيس جميع أشكال الفعل والفكر التي بوساطتها يحدد الإنسان موقعه من العالم؛ فالأسطورة تثبت الأعمال الطقوسية ذات الدلالة وتخبرنا عندما يتلاشى بُعدها التفسيري بما لها من مغزى استكشافي وتتجلى من خلال وظيفتها الرمزية، أي في ما لها من قدرة على الكشف عن صلة الإنسان بمقدساته»<sup>(٢٦)</sup>.

وفي فهم ميشال مسلان للأسطورة نرى الأساس الرمزي لها واضحاً لأنها بحسب تعريفه إياها « كشف رمزي لعلاقات الإنسان مع الكائنات ومع الإلهي»، وهي « لغة خاصة بالإنسان ليست ناتجة عن تخيل صرف كما اعتقدنا ذلك طويلاً تحت التأثير المبالغ فيه لعقلانية صارمة، بل عن تعبير أولي مباشر لحقيقة مدركة حدسياً من جانب الإنسان»<sup>(٢٧)</sup>. وتنبع أهمية الرمز في الأسطورة أو في غيرها من أوجه التعبير الإنساني من قيمته الذاتية، وقد عبّر (توما الأكويني) عن هذا المعنى بربط فعل المؤمن بالحقيقة نفسها لا بالمعبر عنه قائلاً: «في الرمز كما تبينه طريقة الكلام



نسعى الى بلوغ المسائل الإيمانية بالشكل الذي يتحدد فيه فعل المؤمن، إذ لا يتوقف فعل المؤمن عند المعبر عنه بل يتحقق بالحقيقة نفسها؛ فنحن لا نصوغ إيضاحات إلا لأجل إحداث معرفة بوقائع معينة، سواء في أمور الإيمان أو العلم»<sup>(٢٨)</sup>.

وعبر مسلان عن القيمة الذاتية للرمز من حيث التماثل بين الشكل والمضمون، فقال: الرمز « يمتلك قيمة ذاتية لا نمط كلام، وهو واقعة حاصلة بفعل التماثل بين الشكل والمضمون، بين ما له تجلّ عينيّ وبين ما يشكل جوهر الكائنات والأشياء»<sup>(٢٩)</sup>.

ولكي تتضح لنا الصلة بين الرمز ومدلوله عن طريق اللغة يحسن بنا تصنيف الأساطير بحسب الألفاظ المعبرة عن هذه الصلة. وهذا ما يدعو الى تفسير الأساطير مجتمعة لا منفردة والنظر فيها من خلال الثقافات البشرية على مرّ العصور؛ فالتجزئة لا تنفع في فهمها لانها تمثل سبلاً مشتركة لرؤية إنسانية يكمل بعضها بعضاً.

### • رموز الإنسان وأعضائه:

عبد عرب الجاهلية الشمس، ومثلوها بصورة امرأة عارية، والمرأة رمز الى معاني الأنوثة والأمومة والخصب<sup>(٣٠)</sup>. وكان (البراهما) في الأساطير الهندية يصور بأربعة وجوه وأربع أذرع، وأما (شيفا) الإله الراقص فهو محاط بهالة من الأذرع<sup>(٣١)</sup>. وجانوس (Janus) في الأساطير الرومانية ربّ الأبواب والمدخل والبوابات، وصوروه بوجهين في اتجاهين مختلفين<sup>(٣٢)</sup>. وكان إله النار في أساطير أمريكا الوسطى

من أقدم الآلهة عندهم، ومثلوه بكهّل ذي وجه عميق التجاعيد محنيّ الظهر، يحمل على ظهره أو على رأسه كأساً مصنوعة لحرق البخور، وظهر على السفح المكسيكي الأوسط قبل ميلاد المسيح<sup>(٣٣)</sup>. ويعد إيناري (Inari) ربّ الزراعة في الأساطير اليابانية ولاسيما زراعة الأرز، وهو الغذاء الأساسي الشائع في اليابان والصين، ولذلك رمز هذا الإله الى ربّ الخير والعطاء والنماء. وتظهره رسومه رجلاً شيخاً مع أتباعه ورسله وتعليبين<sup>(٣٤)</sup>.

ومن شعائر المصريين القدامى فتح فم الميت إشارة الى جعل كل أعضائه جاهزة لأداء الوظائف الجديدة<sup>(٣٥)</sup>.

ونستنتج من الأمثلة المذكورة سابقاً أن الإنسان وأعضائه يرمزان في مجمل الأساطير الى معاني الأنوثة والأمومة والخصب والقدرة والقوة وحراسة الحصون والقلع والأبواب، ويرمزان أيضاً الى إله مجسد يتصف بالحكمة والخبرة والزراعة وما يمثله من الطعام الشائع بين شعب ما وأداء الإنسان لوظائفه الطبيعية في العالم الآخر. والجامع بين هذه المعاني هو الحياة وشؤونها المختلفة.

### • رموز الحيوان:

(المقه): اسم من أسماء القمر في سبأ، وكان يعبد في حرم بلقيس ملكة (سبأ) في عصر النبي سليمان (ع). واتخذ عرب جنوب الجزيرة العربية الثور رمزاً الى القمر، وهو رمز (المقه) في سبأ ومأرب والنصوص اللحيانية والثمودية<sup>(٣٦)</sup>.

ومن الأساطير اليابانية: جروجين (Jorojen)، وهو ربّ المعمرين والحظّ

الطيّب. ويصور على هيئة رجل ذي لحية بيضاء ترافقه سلحفاة أو لقلق<sup>(٣٧)</sup>، وهو يرمز أيضاً إلى العمر السعيد المتقدم .

ومن الأساطير المصرية القديمة:رينيت (Renenet) أو رينيت (Renenet)، وهي آلهة تجسد أحياناً على هيئة أسد أو رأس أفعى، وتشترك مع إله العنب (شاي) في بعض الوظائف لأنها آلهة المحاصيل الزراعية، ومن وظائفها تغذية الطفل منذ ولادته، إذ تمنحه اسمه وتتبعه عندما يحاكم بعد الموت<sup>(٣٨)</sup>.

ويطلق على ربّ الغيوم والعواصف والسماء في الأساطير الفينيقية اسم حاداد (Hadad) وهو الذي يرسل الغيوم والرعد والبرق . ونظير حاداد في الميثولوجيا البابلية (آداد)، ويبدو أن التسمية من أصل سامي واحد، ويشار إلى حاداد باسم (بعل حاداد)، وبعل يعني الإله في الفينيقية، وينظر إليه سيدياً وحاكماً، ويمثّل أحياناً بثور، وهو رمز القوة والسلطة<sup>(٣٩)</sup>.

ويعد آمون (Amon) من أشهر الآلهة المصرية القديمة، وقد تدرج هذا الإله في المراتب والوظائف، فقد كان إله الهواء تارة، ثم إله الخصب تارة أخرى، ثم صار ملك الآلهة وسيد العروش، إلى أن اختص بالملوك فصار يعبد على أنه (إله الملوك) منذ عهد (أممهاث الأول) مؤسس الأسرة الفرعونية الثانية عشرة. وصوّره لابساً رأس كبش أو رأس إوزة النيل<sup>(٤٠)</sup>.

ومن الأساطير الفينيقية: بعل حامون (Baal Hammon)، وهو ربّ السماء والإنبات، والربّ الأكبر لقرطاجة (قرطاجنة)

المستعمرة الفينيقية. ترافق الخروف مع بعل حامون الذي كان يرسم حاملاً إنساناً في العصور القديمة<sup>(٤١)</sup>.

ومن الأساطير المصرية ما يسمى بـ(عُوذة البقرة الوحشية)، وهي تمثل رأس بقرة مقدسة تحمل الشمس بين قرنين، وكانت تستعمل لبت الحرارة في الأجساد المحتنة (المومياءات). وتعود هذه العادة إلى الإيمان بأن (رع) إله الشمس حينما غاب أول مرة قامت البقرة بإرسال كائنات نارية تسعفه حتى الصباح لكي لا يفقد حرارته<sup>(٤٢)</sup>.

وليسا (Lissa) من الأساطير الإفريقية، وهي إلهة عند سكان داهومي، كانت تعبد على أنها ربّة الأم، وابناها (مادو= الشمس)، و(غو= القمر) ويرمز إليها بالحرباء، وهي طوطم<sup>(٤٣)</sup> الإلهة وقبائل الداهومي<sup>(٤٤)</sup>.

وباست (Bast) أو باستيت (Bastet) من الميثولوجيا المصرية ربّة الخصب، وهي ربّة محلية ارتقت إلى إله قومي . الهرة حيوانها المقدس، وصورها على هيئة امرأة لها رأس هرة ترفع بيدها اليمنى قيثارة أو درعاً<sup>(٤٥)</sup>.

ويستثنى (الكلب) من الحيوان في دلالاته الرمزية الأسطورية من حيث إجماع أغلب الأساطير على التقريب بين رمزيتها ومعاني (الموت والجحيم والعالم السفلي والممالك الخفية)<sup>(٤٦)</sup>.

ووظيفته الأسطورية الأولى « وظيفة دليل الإنسان في ليل الموت، بعدما كان رفيقه في نهار الحياة»؛ فهو الحارس الأمين في المنزل ومع قطع المشية، ولذلك «يعد حارساً أسطورياً لممالك الموت، ويقع عند أبوابها المقدسة» .



وكان من عادة المكسيكيين القدامى الاعتناء بتربية الكلاب المختصة بمواكبة الموتى وإرشادهم في العالم الآخر، ولذلك كانوا يدفنون مع امواتهم كلاباً لونها كلون الأسد والشمس . وما يزال شعب غواتيمالا يضع في أيامنا هذه أربعة أشكال للكلب عند زوايا المقبرة الأربع، وأبراجهم السماوية ثلاثة عشر بدلاً من اثني عشر عند أغلب الشعوب والثقافات، والبرج الثالث عشر عندهم هو برج الكلب<sup>(٤٧)</sup>.

ومن الأمثلة لرمزية الكلب المرتبطة بالموت والعالم الآخر الإله أنوبيس (Anubis) في الميثولوجيا المصرية، ويمثل هذا الإله برأس كلب أو ابن أوى، وهو ربّ الجنازات والتحنيط عند الفراعنة، يقود الموتى الى العالم السفلي ويشرف على الميزان الذي توزن به قلوب الموتى حينما يمثلون للمحاكمة قبالة (أوزيريس)<sup>(٤٨)</sup>.

وكان (بعل) ربّاً للخُصْب والإنبات عند الساميين القدماء، وهو عند الفينيقيين ربّ العاصفة ومطر الشتاء . مثّلوه بمحارب على رأسه خوذة بقرني ثور<sup>(٤٩)</sup>.

ومن الآلهة الفرعونية المشهورة: رع - حاراكتي (Ra-Harakte)، وهو ربّ الشمس ويصور على هيئة رأس صقر مرتدياً قرص الشمس<sup>(٥٠)</sup>.

ومن آلهتهم: بيديتي (Behdety)، وهو الاسم الذي أطلق على (حورس) في بيريت مكان عبادته، وهو مذبح في مصر العليا . ظهرت رسومه على هيئة رأس نسر مع صحن شمس مجنح<sup>(٥١)</sup>.

ومن آلهتهم المشهورة المرتبطة بالصقر: حورس (Horus)، وهو ربّ السماء والشمس الشريك لـ(رع) . يسميه المصريون (حور)، ويسميه الإغريق (حورش)، ولكنه اشتهر باسمه اللاتيني: (حورس) . وهو ابن (أوزيريس) و (إيزيس)، أو شقيقهما .

وسماه الإغريق أيضاً: (هاربوكراتيس)، وجعلوه شريكاً لـ(أبولو) . عبد في عدد من الأمكنة بأشكال شتّى وأسماء مختلفة، ولكنه يمثل دائماً بصقر أو رأس صقر<sup>(٥٢)</sup>.

ومن آلهتهم المرتبطة بأجزاء الطير: أمنتي (Amenti) أو أمنت (Ament) وهي ربّة تظهر بريشة نعامة أو ريشة صقر على رأسها، كانت في بادئ أمرها ربّة إقليم مصر السفلى الغربي، وصارت فيما بعد ربّة الغرب كله<sup>(٥٣)</sup>.

ومن الأساطير الفنلندية: إيلماتير (Ilmater)، وهي ابنة الهواء التي طارت فوق البحر سبعة قرون، ثم خلقت العالم من البيض الذي وضعته بطة أو عُقاب في ركبته، ومن قشور البيض خلقت السموات، ومن نقط البيض الملونة خلقت النجوم، ومن صفار البيض خلقت الشمس، ومن بياضه خلقت القمر<sup>(٥٤)</sup>.

ونستنتج من الأساطير المذكورة سابقاً أن رموز الحيوان فيها تدل على القوة والسلطة والعمر الطويل والحظ الحسن ورعاية الأطفال والخُصْب والنبات ونشأة العالم . وترمز بعض الحيوانات كالكلب خاصة الى الموت والجحيم والعالم السفلي . والجامع بين هذه المعاني - في الأعم الأغلب - هو القوة

والسلطة والحياة والرعاية والخصب والنبات.  
● رموز النبات:

يرمز النبات في بعض الأساطير الى الطبيعة كالسما والاشجار والانهار . ومن الأمثلة لذلك: كوبالا (Kupala) في أساطير الجنوب الأمريكي، وهو « ربُّ تشتمل عبادته على تقديس الزهور والأشجار ومياه الأنهار . وأتباع هذه العبادة يستحمون في مياه نثرت فيها الزهور، فإما أن يغرقوا تمثاله، وإما أن يحرقوه في الطقوس التي تقام لعبادته. وفي الكوبالا تقديس خاص بنبته السرخس وزهرها، وهي لا تزهر في السنة إلا مرة واحدة، وذلك في منتصف الليل، وهي مصدر العطاء والحظ الطيب لمن يمتلكها، وهو الذي عليه أن يقطعها ويقتلعها أمام أعين الشياطين الذين يحرسونها»<sup>(٥٥)</sup>.

ومن الأساطير الفنلندية المرتبطة بالنبات: جومالا (Jumala)، وهو ربُّ السموات والإله الأعلى للفينيقيين، وتعد السنديانة شجرته المقدسة<sup>(٥٦)</sup>.

● رموز الأجرام السماوية والظواهر الطبيعية:

كان أتون (Aton) أو أتن (Aten) من أشهر الآلهة المصرية القديمة، وهو اسم أطلق على الشمس في أول الأمر قبل أن يتخذ إلهاً، ثم صار أتون يدل على القوة الإلهية التي تسكن الشمس، وعبد إلهاً جديداً بين آلهة أخرى في عهدي (تحوتمس الرابع) و(أمنحوتب) أو (أمنوفيس) الثالث. واتخذ إلهاً واحداً معبوداً في مصر على عهد أمنحوتب أو أمنوفيس الرابع، إذ فرض الفرعون عبادته

على المصريين؛ وبذلك ظهرت في مصر القديمة أولى بشارات التوحيد، واتخذ أمنحوتب الرابع لنفسه لقب (اخناتون) أو (اخيناتون)، ومعناه: (الذي يفرح بأتون)<sup>(٥٧)</sup>.

وفي نشيد أتون يمجّد الفرعون المتصوف أعمال إلهه المبدع المحيي قائلاً:

« ... تظهر رائعاً عند الأفق المساوي يا أتون الحي، مبدع الحياة، عندما تشرق في الأفق الشرقي تملأ كل مصر بكمالك ... وعندما تغيب في الأفق الغربي تغرق الأرض في الظلام كما لو كانت مية ... وعندما تبدد الدياجي وأنت تنشر اشعتك ينهض المصران مبتهجين ويستيقظان، فيغسل سكانهما أجسادهم، ويلبسون ملابسهم، وترتفع أذرعهم إليك لتعبدك، ويرتفع المصركل بالعمل، وترتفع المواشي في مراعيها، فيما تخضر الأشجار والنباتات، وتطير الطيور من أعشاشها...»<sup>(٥٨)</sup>.

وترمز الشمس والقمر الى (خطيئة المحارم) في بعض أساطير الشمال الأمريكي، إذ ذكر أليكناك (Aliqnak) أو أنينغان (Aningan)، وهو الاسم الذي أطلقه الأسكيمو على القمر بعد أن اقترب أخ وأخته الحرام، فصارا منبوذين في الأرض، فارتفعا الى السماء، فانقلب أليكناك قمراً، وانقلبت أخته شمساً<sup>(٥٩)</sup>.

وكان الناس ينظرون في الأزمنة الغابرة الى الكواكب كأنها آلهة، ثم نظروا إليها كأنها دوائر تديرها ملائكة، ثم اتخذت مدلولاً معنوياً « وصورت كأنها مستقر النفوس الكبيرة»<sup>(٦٠)</sup>.



وتعد عشتار (Ishtar) من أشهر الآلهة في الميثولوجيا الآشورية والبابلية، وتطلق على كوكب الزهرة، وهي ربة الخصب والأمومة، ورمز إليها بالنجمة<sup>(٦١)</sup>.

وأماليثا (Amalthea) التي انقلبت الى برج الجدي في السماء كانت في الأساطير اليونانية عنزة الجبل التي أرضعت (زيوس) في جزيرة كريت، وهو من آلهة الإغريق المشهورة، وورد في بعض النصوص أن حورية أرضعته حليب الماعز، ولذلك أكرم زيوس أماليثا بأن جعلها برج الجدي في السماء<sup>(٦٢)</sup>.

ومن الأساطير الهندية إله النار الآري: أغني (Agni)، وهو أصغر الآلهة الفيديّة الهندوسية. اتخذ شكل البرق وجلب المطر لإخصاب الأرض<sup>(٦٣)</sup>. وهو إله النار في كتب (الفيديا)، وله أهمية بالغة في تقديم الأضاحي والقربان، لأن شعائر التقديم تجرى للنار إذ يتوجب على رب كل منزل أن يقدم قرباناً للنار من اللبن الطازج صباحاً ومساءً من كل يوم. ويقدم القربان عند ظهور الهلال واكتماله بدرأ<sup>(٦٤)</sup>.

وللنار في الشعائر الدينية الهندوسية أهمية رمزية تتعدى مسألة الأضاحي والقربان من حيث الأداء الى الرمزية المتجددة، أي قدسية الزمان؛ ففي نصب المذابح تجدد نظرية (تجدد العالم)، وقد ورد في نصوصهم أن مذبح النار هو السنة، وبهذا المعنى يمكن أن نرى في تصورهم إعادة لصنع العالم وتجديداً لشباب الزمان (بخلقه من جديد). والرؤية نفسها تجاه (السنة) من حيث التشابه بينها وبين إله الكون براجاباتي (Prajapati)<sup>(٦٥)</sup>

في الدلالة الزمنية المتجددة والمتصنفة بالقدسية؛ فكل مذبح للنار جديد « يعيد إنعاش براجاباتي، أي إنه يشد أزر قداسة العالم، فالأمر لا يتعلق بـ(الزمان) المعتاد وبمجرد الديمومة الزمنية بل بتقديس (الزمان الكوني)، وإن الغرض من بناء مذبح النار هو تقديس العالم»<sup>(٦٦)</sup>.

ولنا أن نستنتج مما تقدم ذكره من الأساطير أن الأجرام السماوية والظواهر الطبيعية ترمز - غالباً - الى الربوبية ومستقر النفوس الكبيرة والأمومة والخصب. والجامع بين هذه المعاني هو الربوبية والحياة .

#### ● رموز الكائنات الخيالية:

صورت الأساطير البابلية والآشورية الشياطين بصور وهيئات وأشكال مخيفة تبث الخوف والرعب في قلوب ناظريها، كأن تصور على هيئة أجسام الإنس ورؤوس الحيوانات، أو بخليط من أعضاء حيوانية مختلفة مخيفة؛ فعلى سبيل المثال كان لـشيطان الحمى « رأس أسد وأسنان حمار وأطراف نمر أرقط، صوته زئير، يمسك بيديه أفاعي هائلة»، وله ثديان يداعبهما كلب أسود وخنزير<sup>(٦٧)</sup>.

ومن الكائنات الخيالية في أساطير ما بين النهرين إله الحرب نغرسو (Ningirsu)، وكان يصور على هيئة طير « له رأس أسد. يزمجر كالمياه، ويندفع نحو البلد المعادي وكأته العاصفة»<sup>(٦٨)</sup>.

ومنهما إمدوغود (Imdogud) إلهة الغيوم المطرة، صوّروها على هيئة « طائر أسود له رأس أسد يزأر، وصوته الرعد، يطير بأجنحة عظيمة ممدودة في الجو»<sup>(٦٩)</sup>.

ومن الأساطير السلافية ربّ الحرب والخصب: سفانتوفيت (Svantovit) . كان يعبد في مدينة «(أركونا) التي تقع في جزيرة (روجن) في بحر البلطيق. تمثاله في المعبد له أربعة رؤوس ينظر الى الجوانب الأربعة، ويمسك بيده قرناً، وبمقدار ما في القرن من خمر يتنبأ بأحوال السنة الجديدة إن كانت سنة خير وعطاء أو سنة شرّ وقحط»<sup>(٧٠)</sup>.

وفي الأساطير اليابانية يعد ريدن (Raiden) ربّاً للرعْد، ويصور على هيئة شيطان له مخالب في أقدامه ويحمل طبعلاً<sup>(٧١)</sup>.

ومن الكائنات الخيالية ما يسمى بالهاريات (Hrpies) في الميثولوجيا اليونانية، وتوصف هذه الكائنات بأنها مخلوقات كريهة، لها أجساد طيور ورؤوس نساء، وهن دليل على الرياح والعواصف المدمرة « ينفثن رائحة نتنة في طعام ضحاياهن، وينقلن أرواح الموتى، ويحدن العقوبة الإلهية»<sup>(٧٢)</sup>.

ومنها: طائر الرعد (Thunder Bird) في أساطير الشمال الأمريكي، وهو « طائر أسطوري ضخم يشبه النسْر . تعتقد بعض قبائل الهنود الشماليين أنه الروح التي تسبب البرق والرعد، وهو الذي يجلب المطر لمحاصيلهم»<sup>(٧٣)</sup>.

وشاع في الأساطير اليونانية ما يسمى بالقنطورات (Centaur)، وهي كائنات خيالية متوحشة نصفها إنسان ونصفها الآخر حصان<sup>(٧٤)</sup>.

ومن أساطير الشمال الأمريكي: غاوة (Gaoh)، وهو زعيم الرياح عند شعب الأرغوان، وقد صوروه على هيئة مارِد مهيمن

على الرياح<sup>(٧٥)</sup>.

وكان سيكروب (Cecrops) في الميثولوجيا الإغريقية كائناً نصفه إنسان ونصفه الآخر تين، ونسب إليه تأسيس مدينة أثينا، ولذلك سميت أيضاً (سكروبيا). وهذه النسبة من قبيل إضفاء القدسية على المدينة . وتذكر الأسطورة أنه أدخل الى أتیکا - وهي إحدى مدن اليونان - المدنية والقوانين والشعائر الدينية<sup>(٧٦)</sup>.

ويعد براهما (Brahma) - وهو الربّ الخالق - أول الآلهة الثلاثة في الأساطير الهندوسية. وأما الآخران فهما: (فشنو) و(شيفا) . وتفيد الأسطورة أن براهما ولد من (النارايانا)، أي البيضة الأولى، ويصور-عادة- على هيئة أربعة أوجه وأربع اذرع، ويجلس على عرش من اللوتس<sup>(٧٧)</sup>.

ومن الأساطير الصينية التي تمثل قوى الشر: كونغ كونغ (Kung-kung)، ويصور على هيئة « تين أو وحش له قرون . حطّم أعمدة السماء الزرقاء برأسه، وتسبب بزلزل كثيرة ما أدى الى طوفان عظيم عندما انهارت قبة السماء وسقطت»<sup>(٧٨)</sup>.

وكان المصريون القدامى يؤمنون بكائن روحاني يتصف بالقوة والحركة والتحول المادي سموه: با(ع)، وهو في عقائدهم أحد المبادئ الروحية ومن صفات الإله القادر على التجسد بفضل هذه القوة أو الملكة التجسدية، ويعد للإنسان نمطاً من أنماط الوجود الممكن بعد الموت؛ فالبا(ع) حين ينعتق من الجسد يواصل الاضطلاع بكل وظائفه الحيوية من حركة وغذاء وشهوة جنسية كما تدل على ذلك



الرسوم في المقابر المصرية كابتراده في شجر الجُمّيز<sup>(٧٩)</sup> أو «سفره في قارب الإله رع»<sup>(٨٠)</sup>. ورمز الى هذا الكائن الروحاني بعصفور ذي وجه بشري . ومن المخلوقات الأسطورية في الميثولوجيا المصرية والآشورية واليونانية ما أطلق عليه اسم سفينكس (Sphinx)، وتترجم هذه الكلمة عادة بـ(أبي الهول)؛ فقد تجسد في الأساطير الفرعونية بخليط من الإنسان والحيوان إذ كان رأسه رأس رجل أو حيوان، وجسده جسد أسد .

وأشهر هذه التماثيل (أبو هول) الكائن على مقربة من إهرامات الجيزة، وهو منحوت من الصخر في عهد المملكة القديمة، « واتخذ التمثال وضع الرابض ويحمل غطاء رأس فرعون»، وكان الفراعنة يتخذون من هذه الكائنات الاسطورية مداخل الى المعابد والقبور لإيمانهم بأنها تحرسها، كما هو شأن الثور المجنح في الأساطير الآشورية، وهو تمثال يجمع بين جسد ثور مجنح ورأس إنسان ذي لحية طويلة وغطاء رأس الملك الآشوري . وكان الآشوريون يعتقدون أنه يحرس أبواب المعابد والقصور والمدن . وأما (السفينكس اليوناني) فقد صور على هيئة أجزاء ثلاثة، الجزء الأول منه امرأة، والجزء الثاني طير، والجزء الثالث أسد<sup>(٨١)</sup>.

ومن الأساطير الرومانية المتصلة بالحب والجمال ربّ الحب المسمى كيوبيد (Cupid)، وهو نظير الربّ اليوناني إيروس (Eros)، يصور عادة على هيئة صبي مجنح في يديه قوس ونُشاب<sup>(٨٢)</sup>.

ولنا أن نستنتج من الأساطير المذكورة آنفاً أن رموز الكائنات الخيالية تدل على الشياطين

والحرب والرعد والرياح والعواصف والربوبية والزلازل والظوفان والحب وبعض المبادئ الروحية . والجامع بين هذه المعاني - في الأعم الأغلب - هو قوى الشر والدمار .

### رموز الى أشياء مختلفة:

**-عظام الملوك:** زهبت الأساطير المصرية الى أن عظام الملوك مصنوعة من فضة، وشعرهم مصنوع من ذهب، لدلالة الفضة البيضاء على النقاء والطهارة<sup>(٨٣)</sup>.

**-الرقص المقدس:** كانت للرقص المقدس في مصر القديمة دلالات رمزية اختلفت في تفسيرها آراء الباحثين . وقد ربط هنري ويلد (Henri Wild) بين الرقص السحري القديم ورقص الدراويش المتصوفة في الإسلام، فقال: « يتعين على القفزات المتكررة أن تزداد وتتصاعد كما في الذكر الحديث (حلقات الدراويش) . وهذا ربما كان من آثار الرقص السحري القديم . وفي الحاليين هدف هذا الأداء هو التحطيم البطيء لفردية المؤدّي وتوليد وجد له تسمح للألوهية بأن تخترقه وتتجسد فيه»<sup>(٨٤)</sup> . ونحن نتحفظ من هذه الصلة وتفسيرها ونحترز منها؛ فلا علاقة بين الرقص السحري القديم ورقص المتصوفة المسلمين، وربما كانت العلاقة بينه وبين الرقص المصري الفرعوني أظهر وأبين، لأن طقوس المصريين القدامى امتزجت برؤى سحرية مرتبطة بالآلهة وتقديسها، فهي نمط من الأداء المقدس.

**-العصا) في الأساطير الهندية والصينية:** ترمز العصا في الاساطير الهندية « الى سلاح بين يدي الآلهة، ولاسيما الإله (ياما) حارس الجنوب ومملكة الموتى». وأما في الأساطير

- (٤) ينظر: سميت، موسوعة علم الإنسان: ص ٩٣، وبونت وإيزار وآخرين: معجم الإثنولوجيا والأثنوبولوجيا: ص ٦٨.
- (٥) موسوعة علم الإنسان: ص ٩٤ .
- (٦) موسوعة علم الإنسان: ص ٩٤ .
- (٧) موسوعة علم الإنسان: ص ٩٤ .
- (٨) ينظر: موسوعة علم الإنسان: ص ٩٣، ٩٤ .
- (٩) ينظر: جعفر نجم نصر: الأثنوبولوجيا التأريخية: ص ٩٨، ٩٩ .
- (١٠) ينظر: الأثنوبولوجيا التأريخية: ص ١٠٣، ١٠٤ .
- (١١) ينظر: موسوعة علم الإنسان: ص ٩٤، ٩٥ .
- (١٢) الشامان: «الشامانية (Shamanism) مصطلح سيبيري (نسبة الى سيبيريا) يشير الى مركب من المعتقدات والممارسات الدينية والطبية السلافية المنتشرة في بيئات متنوعة إثنوغرافياً، سواء في آسيا أو إفريقيا أو لدى سكان أمريكا الأصليين . ويعرّف الشامان عادة بأنه المختص بالدين مدة من الزمن، وتعتمد قدراته على الخبرة الشخصية المباشرة».
- موسوعة علم الإنسان: ص ٣٤٥ .
- (١٣) معجم الأساطير: ص ٧ .
- (١٤) ينظر: معجم الأساطير: ص ٩، ١٠ .
- (١٥) الياد: المقدس والعادي: ص ١٢٨ .
- (١٦) المقدس والعادي: ص ١٠٩ .
- (١٧) مسلان: علم الأديان: ص ٨٦ .
- (١٨) علم الأديان: ص ٨٨ .
- (١٩) علم الأديان: ص ٢٤٧ .
- (٢٠) علم الأديان: ص ٢٤٧ .
- (٢١) علم الأديان: ص ٢٤٨ .
- (٢٢) علم الأديان: ص ٢٤٧ .
- (٢٣) محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب: ص ٦٩ .
- (٢٤) هو محمد عجينة مؤلف كتاب موسوعة أساطير العرب . ينظر فيما يأتي كتابه المذكور آنفاً: ص ٣٥ .

الصينية فقد كانت العصا تستعمل لطرد الشر والشؤم عند حلول السنة الجديدة، وكانت (العصا الحمراء) تستعمل لمعاينة المجرمين، ولهذه العصا سبع عُقد أو تسع ترمز الى عدد السماوات أو الأفلاك<sup>(٨٥)</sup>.

**- التاج في الأساطير البوذية:** كان لتاج الملك (الإلهي أو البشري) خمسة ألوان في الديانة البوذية ترمز الى ما يأتي<sup>(٨٦)</sup>:

١- اللون الأخضر: رمز الى الشمال، وانعدام الخوف .

٢- اللون الأحمر: رمز الى الغرب، والتأمل .

٣- اللون الأزرق: رمز الى الشرق والشهادة.

٤- اللون الأبيض: رمز الى الوسط، والعبرة والتعليم .

٥- اللون الأصفر: رمز الى الجنوب، والمحبة .

ثوب القضاة في الأساطير اليابانية: كان إِمَاو (Emmao) رباً بوذياً، وحاكماً لـ (Yomi)، وقاضياً تعرض عليه أفعال الخاطئين، إذ توزن أفعال كل خاطئ قبل أن يدان ويدفع به الى الجحيم في مكانه المناسب لخطيئته. وكان إِمَاو « يصور وهو يرتدي ثوب القضاة، وعلى وجهه تعبير الوعي»<sup>(٨٧)</sup>.

### • الهوامش:

(١) نور الدين خليل: قاموس الأديان الكبرى الثلاثة: ص ٥٠٤ .

(٢) الليجندات: « عبارة عن قصص أقيمت على دعائم من الواقع والتاريخ المتعلقين بالأبطال والأحداث مهما كان حظها ضئيلاً. وقد انسأقت مع الأساطير في هذا التحليل الوهمي». شابيرو وهندريكس: معجم الأساطير: ص ٧ .

(٣) معجم الأساطير: ص ٧ .



- (٢٥) علم الأديان: ص ٢٤٥.
- (٢٦) موسوعة أساطير العرب: ص ٧٤.
- (٢٧) علم الأديان: ص ٢٧٣.
- (٢٨) علم الأديان: ص ٢٤٨.
- (٢٩) علم الأديان: ص ٢٤٨.
- (٣٠) موسوعة أساطير العرب: ص ١٩٣.
- (٣١) خليل أحمد خليل: معجم الرموز: ص ٧٤.
- (٣٢) معجم الأساطير: ص ١٣٩.
- (٣٣) خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات الدينية: ص ١٥٤.
- (٣٤) معجم الأساطير: ص ١٣٢.
- (٣٥) معجم الرموز: ص ٣٩.
- (٣٦) موسوعة أساطير العرب: ص ١٩٣، ١٩٨.
- (٣٧) معجم الأساطير: ص ١٣٩.
- (٣٨) معجم الأساطير: ص ٢٢٤.
- (٣٩) معجم الأساطير: ص ١١٣.
- (٤٠) معجم المصطلحات الدينية: ص ٣٥.
- (٤١) معجم الأساطير: ص ٥٦.
- (٤٢) معجم الرموز: ص ٣٠.
- (٤٣) الطوطم (Totem) من الأساطير الإفريقية والشمال الأمريكي، وهو «حيوان أو نبات أو أي شيء آخر من عالم الطبيعة يستعمل رمزاً إلى عائلة أو قبيلة أو جماعة من الناس، ويعد مقدساً. وتعلق الرموز الطوطمية أو تحفر أو ترسم بألوان فاتحة على أقطاب طوطمية كما يفعل ذلك الهنود الأمريكيان». معجم الأساطير: ص ٢٥٦.
- (٤٤) معجم الأساطير: ص ١٥٨.
- (٤٥) معجم الأساطير: ص ٥٧.
- (٤٦) ينظر: معجم الرموز: ص ١٤٥.
- (٤٧) معجم الرموز: ص ١٤٥.
- (٤٨) معجم الأساطير: ص ٣٩.
- (٤٩) معجم الأساطير: ص ٥٥.
- (٥٠) معجم الأساطير: ص ٢٢٢.
- (٥١) معجم الأساطير: ص ٥١.
- (٥٢) معجم الأساطير: ص ١٢٥.
- (٥٣) معجم الأساطير: ص ٣٥.
- (٥٤) معجم الأساطير: ص ١٣١.
- (٥٥) معجم الأساطير: ص ١٥١.
- (٥٦) معجم الأساطير: ص ١٤٠.
- (٥٧) ينظر: معجم الأساطير: ص ٥٠، ومعجم المصطلحات الدينية: ص ١٢.
- (٥٨) معجم المصطلحات الدينية: ص ١٢.
- (٥٩) معجم الأساطير: ص ٣٣.
- (٦٠) معجم الرموز: ص ١٤٨.
- (٦١) معجم الأساطير: ص ١٣٥.
- (٦٢) معجم الأساطير: ص ٣٤.
- (٦٣) معجم الأساطير: ص ٣١.
- (٦٤) معجم المصطلحات الدينية: ص ٢٨.
- (٦٥) كلمة Prajapati: سنسكريتية تعني إله الكون.
- (٦٦) المقدس والعادي: ص ١٠٨.
- (٦٧) سهيل قاشا: تأريخ الفكر في العراق القديم: ص ٢٦٦.
- (٦٨) تأريخ الفكر في العراق القديم: ص ٤٨.
- (٦٩) تأريخ الفكر في العراق القديم: ص ٢٤٨.
- (٧٠) معجم الأساطير: ص ٢٤٢.
- (٧١) معجم الأساطير: ص ٢٢٢.
- (٧٢) معجم الأساطير: ص ١١٥.
- (٧٣) معجم الأساطير: ص ٢٥٢.
- (٧٤) معجم الأساطير: ص ٧٠.
- (٧٥) معجم الأساطير: ص ١٠٤.
- (٧٦) معجم الأساطير: ص ٧٠.
- (٧٧) معجم الأساطير: ص ٦٢.
- (٧٨) معجم الأساطير: ص ١٥٠.

- (٧٩) شجرة شبيهة بشجرة التين . ينظر: مختار الصحاح ص٧٨ (نشر دار صادر، بيروت ٢٠٠٨م).  
 (٨٠) معجم المصطلحات الدينية: ص ٤٣ .  
 (٨١) معجم الأساطير: ص ٢٣٩ .  
 (٨٢) معجم الأساطير: ص ٧٨ .  
 (٨٣) معجم الرموز: ص ١٢٩ .  
 (٨٤) معجم الرموز: ص ٣٢ .  
 (٨٥) معجم الرموز: ص ١١٧ .  
 (٨٦) ينظر: معجم الرموز: ص ٣٦ .  
 (٨٧) معجم الأساطير: ص ٩٢ .

#### ● المصادر

- الياد (مرسيا): المقدس والعبادي - ترجمة عادل العوا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٩م.  
 - بونت (بيار)، وإيزار (ميشال)، وآخرون: معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا - ترجمة مصباح الصمد - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (مجلة) - بيروت ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.  
 - جعفر نجم نصر: الأنثروبولوجيا التاريخية: الأسس والمجالات في ضوء مدرسة الحوليات الفرنسية، نشر دار أوما للطباعة والنشر (بغداد)، والانتشار العربي (بيروت) - ٢٠١٣م.  
 - خليل أحمد خليل: معجم الرموز (سلسلة المعاجم العلمية) - دار الفكر اللبناني - بيروت ١٩٩٥م.  
 - خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات الدينية (سلسلة المعاجم العلمية، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٥م.  
 - سميث (شارلوت سيمور): موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية - ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف محمد الجوهري - المركز القومي للترجمة - القاهرة ٢٠٠٩م.  
 - سهيل قاشا (الأب): تاريخ الفكر في العراق القديم - التنوير للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ٢٠١٠م.  
 - شابيرو (ماكس)، وهندريكس (رودا): معجم الأساطير - ترجمة حنا عواد - دار علاء الدين، دمشق ٢٠٠٨م.  
 - محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها - دار الفارابي (بيروت)، ودار محمد علي للنشر (صفاقس - تونس) - ٢٠٠٥م.  
 - مسلان (ميشال): علم الأديان: مساهمة في التأسيس - ترجمة عز الدين عناية - نشر هيئة (أبو ظبي) للثقافة والتراث (كلمة)، والمركز الثقافي العربي (بيروت) ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.  
 - نور الدين خليل: قاموس الأديان الكبرى الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام) - مؤسسة حورس الدولية - مصر (الإسكندرية) ٢٠١٠م.



# The language and symbolism of the mythology

**By: Prof. Dr. Ali Zoien**

Al-Kut University College \ Iraq

## Abstract

This research deals with the causal and interpretive link between language and myth in terms of what the myth of the symbolic symbols suggests are some semantic elements of the language. The most important of these is the indirect link between the symbol (word, image, or mark) and its symbols (the world of nature and matter, the world of mind and mind, the physical meaning and the abstract meaning). This connection is in the sense of meaning.

The research follows the types of symbols in accordance with the above mentioned, human and his organs symbols, human symbols, plants symbols, symbols of celestial bodies and natural phenomena, and symbols of imaginary objects.

